

البعث وحِوارُ الْحَضَارات

بمناسبة الذكرى ٣١ لتأسيس

حزب البعث العربي الاشتراكي

B799 ٢-٦-٨٤

* القيت هذه المحاضرة باللغة الفرنسية في باريز ضمن اطمار
النشاط العام للمركز الثقافي العراقي بتاريخ ١٦-٤-١٩٧٨.

٢٥٢

80-961192

DS 70
.7
.F 33
1979
Orien
Arab

80-961192

حضرات السيدات واللadies

أيها الأصدقاء °

تقديم لنا الذكرى الواحدة والثلاثون لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ، فرصة هذا اللقاء السعيد معكم ، وفرصة الحوار الهدف الى جلاء صورة حركة تاريخية صاعدة في المنطقة العربية ، أصبح لها قاعدة انطلاق وطيدة في تجربة العراق الاصلية التي سوف تحتفل بالذكرى العاشرة لها في ١٧ تموز القادم °

ان صورة البعث ما تزال غير واضحة تماما خارج المحيط العربي ° وهي جزء من صورة وطن عربي ، ما تزال بدورها غائمة

صحيح أن هناك اوساطا لا مصلحة لها في أن ينشأ حوار جدي فيما بيننا ، قامت وما تزال تقوم بدور سلبي قائم على تشويه الحقائق . و صحيح أيضاً بأن تقصيراً متبادلاً قد وقع في ترجمة الأفكار والمواضيع بصورة مباشرة ، كل إلى لغة آخر ٠٠ ، غير أن ذلك كله لم يكن كافياً لمحبب صورة البعث والوطن العربي عن الذهن الأوروبي ، وللحيلولة دون تكوين صورة واقعية مطابقة لحقيقتها . فاختلاف السياق التاريخي والمنظور الحضاري كان يشكل عاملاً في اختلاف طريقة التفكير ، وحركة التفكير ، وتكون المفاهيم ذاتها . وبالتالي يخلق نوعاً من الالتباس وسوء الفهم المتبادل ، لا يمكن أن يتغلب عليه سوى الحوار الحضاري ذاته .

و سوف أكتفي ، من أجل توضيح هذه النقطة بأمثلة مشخصة مستمدة من تحديد (هوية حزب البعث) لنفسه . فحزب البعث العربي الاشتراكي ، حزب يمتلك (ايديولوجية) متميزة ، تستند إلى مفهوم (القومية العربية) ويقوم على (تنظيم طلائعي) يمتد على المنطقة العربية كلها ، لأنّه يؤمن (بالوحدة العربية) . فتنظيمه (قومي) ونشاطه لا ينحصر في جزء من أجزاء الوطن العربي . كما أنه يستند إلى قاعدة جماهيرية كادحة مناضلة والى طبقة عاملة عربية لأنّه يؤمن (بالاشتراكية) ، ويهدف من خلال (مفهومه الانبعاثي) إلى تحقيق بناء الشخصية العربية ، لأنّه يؤمن (بالحرية) .

٩

وغير بيته . هذا ، بالرغم من أن المنطقة العربية تزداد أهمية بعد الحرب العالمية الثانية ، نظراً إلى أهمية احتياطها النفطي ، والى كون التحالف الامريكي - الصهيوني ، قد حولها إلى ساحة صراع ذي أبعاد عالمية . فضلاً عن أن المنطقة العربية ، كانت في الماضي ، مهد الحضارات الأولى في التاريخ (في العراق وفي مصر) ، ثم أصبحت بين القرن السابع والثالث عشر ، بؤرة تفاعل حضاري خصب مع العالم عمّة ومع أوروبا خاصة . وهي اليوم تشكل ميداناً لنھضة حديثة ذات أبعاد حضارية جديدة .

فعدم الوضوح في صورة العالم العربي . وكذلك في صورة الحركة التي حاولت أن تعبّر عن نھضته المعاصرة - حزب البعث - لا يمكن أن يخدم قضية الحوار بين العرب وأوروبا ، وقضية الحوار بين الحضارات بوجه عام . هذا الحوار الذي ينبغي أن ندفع به إلى الأمام . لأنّه المدخل الصحيح لتقويم صور الاعوجاج في عالمنا الراهن ، حيث يجري تشويه كل شيء ، باسم الديمقراطية حيناً وباسم الاشتراكية حيناً آخر ، وباسم السلام في معظم الأحيان .

ولئن ساهمت عدة عوامل كبيرة في اعاقة الحوار الحضاري المطلوب ، فإن أخطر العوامل ليست هي العوامل المكشوفة الواضحة .

٨

وهكذا ، فإن حزببعث ، عندما يحدد هويته ، فإنه يستخدم (اصطلاحات) متداولة كالإيديولوجية والقومية والثورة والاشتراكية .. الخ . إلا أنها (مستعملة) في سياق تاريخي تتعدد فيه المنظورات الحضارية . لذلك فإنها لا تقابل مفهوماً موحداً ومتطابقاً في الذهن العربي والذهن الأوروبي . (فالكلمات) الواحدة هنا لا تستطيع أن تتجاهل اختلاف (مدلولاتها) . لذلك فهي بحاجة إلى (حوار داخلي) من أجل أن تأتي (العبارة) تجسيداً لفهم مشترك .

لتتوقف عند اصطلاح (الإيديولوجية) ، لكي تبيّن كيف أن اختلاف المظور الحضاري ، هو الذي جعل بلدان العالم الثالث تنظر إلى أهمية (النضال الإيديولوجي) نظرة مختلفة تماماً عنها في بلدان أوروبا وأمريكا .

ففي حين ظهرت موجة من العداء للإيديولوجيات (في السبعينيات) داخل أمريكا ، تبشر (بنهاية الإيديولوجيات) ، وتلقى هذه الدعوة صدى لها في أوروبا ، فتعقد من أجلها الندوات والمناقشات التي اتهمت (الإيديولوجية) بالتحجج العتني ، والاطلاقية ، والتسيطية ، والتجريدية ، والتبريرية ، والتعسفية ، والديماغوجية .. إلى غير ذلك من الصفات السلبية المحضة .

١٠

نجد بالمقابل أن (الإيديولوجية) تأخذ في ظروف العالم الثالث معنى (الاختيار المصيري لطريق الإنقاذ) ، ولاستعادة (الهوية الثقافية والقومية) المفتقدة . فهي سلاح نضالي من أجل التحرر . وهكذا نجد أن النزعة (البرجماتية) التي تكمّن خلف الموقف الأول ، لا مجال لها في التجارب التي تتصدّى لتناقضات (افتخارية) في واقعها القومي والاجتماعي ، تفرض (الثورة الشاملة) كاختيار وحيد ، للنهوض بالمجتمع .

وهذا ما دفع أحد المفكرين الأفريقيين^(١) E.P. Elungum إلى اعتبار (الإيديولوجية) شرطاً للتطور في إفريقيا اليوم . لأنها تشكل (روح الحضارة) أو عملية (صنع الحضارة) . فالتحرّى عن الأصالة ، واكتشاف الذات ، والاعتماد على النفس ، وعدم نقل المفاهيم بصورة آلية وبمعزل عن سياقها التاريخي .. كل ذلك إنما يعبر عن ادراك واضح لأهمية النضال الإيديولوجي . فهو ليس ترفاً كمالياً أو مجرد وعد طوباوي بمستقبل مشرق ، بل هو أداة فعالة للتأثير في مجرى التاريخ ، تعتمد على (وعي لقوانين حركة الواقع القومي) . لذلك فإنّ البعث عندما وجد نفسه في مطلع الأربعينيات أمام عدة تيارات إيديولوجية تحدد طرقاً مختلفة للنهضة العربية ،

(١) انظر : Présence Africaine. N° 103. 1977

عن حزب البعث ، وعن الوطن العربي ، وعن منظورهما الحضاري .
أما النقطة الثانية التي يجدر بنا أن تتوقف عندها أيضا ، لكي نزيل
الالتباس الذي يسببه اختلاف السياق التاريخي . فهي تلك التي
تعلق بمفهوم (القومية) .

ان اختلاف المنظور الحضاري يسبب بدوره التباسا في فهم
مدلول (القومية العربية) . ذلك أن اصطلاح (القومية)
و (الايديولوجية القومية) و (الامم الكادحة) توحى الى الذهن
الاوريبي باشياء مختلفة تماما عما تعنيه هذه العبارات في بلدان
العالم الثالث ، لا بل تعني شيئا مناقضا أحياها .

فالقومية في ظروف الامم المناخلة من أجل استقلالها الوطني
ووحدتها وتقدمها من أجل التخلص من آثار وذيل المرحلة
الاستعمارية واستعادة شخصيتها الثقافية وقدرتها على التفاعل
الحضاري . نعم في مثل هذه الظروف ، فإن القومية لا يمكن أن
 تكون (ايديولوجية محافظة تعبير عن مصالح طبقة بورجوازية) .
 وكل محاكمة بالمجانسة يعمد اليها الذهن الاوريبي سوف تضليله
 وتنتهي به الى احكام وموافق خاطئة تماما .

فالقومية في ظروف كظروفنا هي أولاً أكثر من مجرد
(ايديولوجية) لأنها تعني الالتباس الى واقع اجتماعي وثقافي

كان عليه أن يختار بين أن تكون هذه النهضة جزئية أم كلية ،
سطحية أم عميقة، منسجمة مع ثقافة الأمة وتاريخها وشخصيتها ، أم
أن تكون امتدادا للعالم الخارجي المحيط بها . وأخيرا ، أن تكون
نهضة طبقة أم نهضة أمة وجماهير كادحة .
وهكذا كان عليه أن يستوعب طبيعة المرحلة التي تمر بها الأمة
العربية ، وطبيعة العصر الذي تعيش فيه ، وأن يحدد التناقضات
الأساسية القائمة في المجتمع العربي ، وأن يحدد أهداف النهضة
العربية ، من أجل أن يحدد منظوره الحضاري (الانبعاثي) ، الذي
تجاوز به (المنظور المحافظ) المتمثل بتيار الدين التقليدي ،
و (المنظور الاصلاحي) المتمثل بتيار التجديد الديني ، المقلد لحركة
الاصلاح الديني في أوروبا ، و (المنظور القومي العلماني) الذي
كان امتدادا للمفاهيم الليبرالية في الغرب ، و (المنظور الاشتراكي
الأعمى) الذي كان يقف من فوق المسألة القومية ، و (المنظور
الإقليمي) الذي كان يعجز عن النظرة الكلية الشاملة الى القضية
العربية ، ويكتفي بالعمل داخل قواعق التجزئة السياسية التي فرضتها
المرحلة الاستعمارية .

فالايديولوجية كانت بمثابة اكتشاف لطريق التحرر العربي
والوحدة العربية والاشتراكية في الوطن العربي . تلك هي نقطة
الانطلاق التي ينبغي أن تكون مائلة أمامنا بوضوح عندما تتحدث

أيها الاصدقاء

لقد أدرك العرب ، بعد أن ظلوا رحما من الزمن ، امتد على ستة قرون من (الانحطاط) ، جاءت بعد ستة قرون من (النهضة) سبقتها ، أن نهضتهم الحديثة رهن بتحقيق ثورة عميقة شاملة بمستوى الانبعاث ، حتى يمكنوا من المشاركة الجدية في مسيرة التقدم في العالم المعاصر .

وقد كانت ولادة البعث تعبيرا عن هذا الادراك . وقد جاء بمثابة تنويع لتطور بدأت ملامحه تظهر منذ النصف الاول من القرن التاسع عشر مع الجيل الاول من مفكري النهضة العربية المعاصرة . فهو امتداد للافكار والاتفاقيات وللنوابي والمؤشرات العربية ، التي عبرت عن معاناة فكرية ونضالية كان لا بد ان تبلور فكرتها وأن تنسج أداتها . ولكنه جاء في الوقت نفسه بمثابة بتر واع وارادي معها . لأنه لم يكن مجرد امتداد . فملء الفراغ الايديولوجي والتنظيمي السياسي الذي كانت تشكو منه حركة النهضة العربية المعاصرة ، كان يحتاج الى قفزة في الوعي وفي الاستعداد النضالي يتتجاوز ما هو معروف ومتأنف من انمط العمل السياسي .

وقد كانت مرحلة الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ بمثابة

١٥

يسارع تناقضات أساسية . والطبقة البورجوازية في بلدان العالم الثالث عاجزة عن أن تلعب الدور التحرري الذي لعبته الطبقة البورجوازية في أوروبا قبل أكثر من قرنين . لأن تكوينها وشروطها مختلفة تماما .

فالقومية في سياقنا التاريخي هي تعبير عن قومية جماهير كادحة محرومة من ثروات الوطن الضخمة . وهي وعي مستعاد للذات القومية ، بعد مرحلة طويلة من الضياع والاستلاب والانحطاط . فهي (الشعور بالحرية) وهي (نضال) من أجل تحقيقها ، وهي دفاع عن وجود قومي مهدد دوما بالعدوان والتقطیع والتقييّت ونبض الثروات وباستمرار التخلف . وهي وعي (لوحدة المتناقضات الأساسية) تفرض (وحدة الاهداف الكبرى ، في الوحدة والحرية والاشتراكية) . إنها انتقال حاسم بمجتمعات التخلف والتجزئة والتبعة والاستغلال والهامشية التاريخية ، من عصر الى عصر . فهي عملية حضارية لأنها تحرر وتجدد وابعاث وحركة جماهير . وهي اشتراكية بطبيعتها ، لأنها (ايديولوجية الامم الكادحة) والطبقات الكادحة التي تشكل مع الطبقة العاملة - طبعتها - حقيقة الامة . في حين تقف الطبقات المستغلة الرجعية الى صف اعداء تحرر الامة . وتكون حلفا واحدا مع الامبرialisية والصهيونية .

١٦

تستشرف من خلالها ملامح العالم الجديد الذي ولد بعد الحرب ،
ومكان القضية العربية فيه .

لذلك سريعاً ما تحولت مفاهيم النهضة العربية وخطها النضالي
عن دائرة (التمرکز حول الآخر) . أي التبعية والتقليد والاكتفاء
بنقل آلي للفكار من إطارها الثقافي ، إلى إطار آخر مختلف تماماً .
تحولت إلى دائرة (التمرکز حول الذات) لاكتشاف (الطريق الخاص
للنهضة العربية) ، وإلى دائرة (التقىاع الحر مع الآخر) حتى تكون
النهضة العربية جزءاً من التحول الحضاري الشامل للعالم المعاصر .
ولم تمض نهاية الأربعينيات حتى كانت الأيديولوجية العربية الشورية
قد تبلورت في نظرية (الوحدة والحرية والاشتراكية) . فكان
تأسيس حزب البحث العربي الاشتراكي عام ١٩٤٧ بمثابة انطلاقة
جديدة وتدشينا لمرحلة أعلى في النضال العربي التحرري .

وقد ظهرت ملامح هذا النضج المبدئي في تلمس الطريق
الخاص للنهضة العربية في السنوات العشر التي تلت ١٩٤٨-١٩٥٨ .
فقد أخذت التحولات التي حدثت في العديد من الأقطار العربية
شكل تجارب نضالية متباينة مع بعضها البعض ، وتحول التجاوب
العفوی ، إلى تنسيق ، ثم إلى وحدة (عضوية) في النضال العربي ،
كانت خلالها الجماهير العربية في الخمسينيات تتحرك كموجة
واحدة من المحيط إلى الخليج . وكانت ولادة البعث المتفجرة في

مخاض حقيقي ولولادة هذا المستوى الجديد ، لأن حركة النهضة
العربية قد تفاعلت بعمق مع أحداث الحرب . فقد كانت مرحلة
الثلاثينيات التي سبقتها ، خصبة توشر صعوداً وتحفزاً للتوجه .
فجاءت أحداث الحرب لتعمق هذا الاستعداد وتحقق في آن واحد .
كانت كتابات البعث الأولى قد بدأت منذ منتصف الثلاثينيات
تستشرف ملامح مرحلة جديدة في النضال العربي . فهي مقالتين
مشورتين عامي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ (٢) تتحدثان عن (عهد البطولة)
كنقض لعهد الانبطاط . وعن (الاشتراكية) كشرط لتحقيق
انسانية الفرد والجماعة . يضع البعث البنية الأولى لبناءه الفكري
الجديد ، ويضع الاجيال العربية أمام نداء مسؤوليتها التاريخية .
وكانت حركة المطالبة بالاستقلال في سوريا والعراق ومصر ،
والثورة الكبرى في فلسطين ، قد جعلت من الوطن العربي في النصف
الثاني من الثلاثينيات بوتقة انصهار تنسج من خلالها ملامح مرحلة
جديدة من مراحل النهضة العربية المعاصرة . لذلك كان من المنطقي
أن تتفاعل حركة النهضة العربية بعمق مع أحداث الحرب العالمية
الثانية ، وأن تتمكن من استيعاب صورة التغير العميق الذي تحدثه
تلك الأحداث في خارطة العالم السياسية والحضارية . وبالتالي أن

(٢) انظر : ميشيل عفلق . (في سبيل البعث) . (عهد البطولة)
و (ثروة الحياة) .

أقطار المشرق والمغرب العربي ، تلتقي مع الناصرية في مصر ، وثورة الجزائر ، وثورة ١٤ تموز في العراق ، ومع حركة الاستقلال في تونس والمغرب ولibia والسودان ، على طريق النضال المشترك ضد الاحلاف الاستعمارية ، وفي وجه التحالف الاستعماري الصهيوني الذي كشف عن نواياه تجاه حركة التحرر العربي في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ . فكانت وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ تتويجا لهذا الصعود في حركة النضال العربي ، التي لعب فيها البعث دورا قياديا خلال سنوات الخمسينات .

لقد كان الوطن العربي خلال هذه الفترة في حالة صعود بالرغم من تحديات المرحلة ، وكانت تجربته التحريرية تشكل جزءا من تيار عام يسود العالم بعد الحرب العالمية الثانية . وكان البعث يدرك بأن (عصر العجاهير) قد حان . وأن (الامم الكادحة) تأخذ مكانها في هذا العالم ، وتشق طريقها الخاص ، لأن قضاياها ، لا يمكن أن تدرج بساطة في هذا الجانب أو ذلك من قضايا العالم المعاصر . لذلك كان مفهوم عدم الانحياز الذي طرح مبكرا في هذه المرحلة ، يحمل في طياته منظورا حضاريا جديدا . وقد عانى هذا الموقف من السياسة الدولية ما يعانيه اليوم موقف الرفض للتسليفات الاستسلامية في المنطقة العربية ، من سوء فهم ومنعزلة ، قبل أن تصبح سياسة عدم الانحياز فيما بعد سياسة مقبولة ومفهومة من

١٨

القوى الكبرى ومعترفا بها كسياسة معبرة عن قضايا مستقلة ، لها منطقها الخاص ومنظورها الحضاري المتميز .

(فالتعدييه) ، سمة عصرنا الراهن ، كذلك (الخصوصية) ضمن اطار (التصور العام) لمисيرة العالم ككل ، كوتتا طابعا مميزا لتفكير البعض ، الذي كان يرفض التضحية بالشخص من أجل المجرد ، كما كان يؤكد منذ البداية على ضرورة التخلص عن النسق المغلق من التصورات ، وضرورة الانطلاق من وحدة الفكر والممارسة ، وتجاوز صنمية الجمود المذهبي وعشوائية التزاعات الاختبارية . لأن روح العصر ترفض التحجّر ، كما ترفض التخبّط^(٣) .

إن هذه المنطلقات التي أبعدت فكرة البعث عن (الميتافيزيقا) ، وعن مناهج الفكر التقليدية ، قد زودته بالقدرة على رؤية الواقع العربي وحركة تطوره في المرحلة الراهنة ، بشفافية ساعدته على جعل مسيرته حية وصاعدة مع صعود حركة النهضة العربية المعاصرة . كما زوّدته بالقدرة على الاكتشاف السريع لواقع الخلل ومعالجة الظواهر السلبية ، وممارسة النقد الذاتي ، وتحويل النكسات إلى دروس عبر ، وعلى تجاوز نفسه باستمرار ، وعلى مواجهة مؤامرات الامبرالية والصهيونية والرجعية ، بروح التحدّي والثقة ببطاقات

(٣) انظر : نفس المصدر . (النظرة الحية الى الحزب) .

التي لعب فيها البُعث دوراً طليعياً قيادياً ، والذي تكلل بوصوله من جديد إلى السلطة ، ليضع خبرته الطويلة ومعاناته العميقه ودروس العقود الثلاثة من السنوات الماضية ، في اضراج تجربة جديدة في العراق ، دخلت عامها العاشر ، وهي توالي الصعود نحو المستقبل محاطة بآمال الجماهير العربية في الوطن العربي ، لأنها قد تبيّنت فيها ملامح تجربة شابة جديدة ناضجة ، تمثل حقيقة الامة والتفاعل النضالي بين مختلف القوى والاتجاهات الوطنية والقومية التقديمية على طريق تكوين جبهة نضالية واحدة في وجه أعداء النهضة العربية .

ان هذه اللمحات الخاطفة ، السريعة ، عن المعاقة التي ولد البُعث من خلالها وتطور ونمأ ، لا تأخذ ابعادها الصحيحة الا من خلال الاطار الثقافي والايديولوجي الذي جعل البُعث ينظر الى تاريخ الامة العربية كوحدة متماسكة بين الماضي والحاضر والمستقبل والى تاريخ العالم كوحدة قائمة على حوار دائم بين الحضارات ، وجعله ينظر الى نفسه والى رسالته التاريخية ، من خلال مفهوم النهضة العربية المعاصرة . ان هذا المنظور الحضاري قد زود البُعث وتجربته في العراق بنظرة شاملة الى الواقع العربي والى العالم ،

الجياهير العربية ، والإيمان بالمستقبل والعمل الدائم من أجل توجيه القوى النضالية في الوطن العربي .

وقد ظهرت آثار وتائج هذه النظرة العلمية والثوروية الى الواقع العربي ، المستندة الى منظور حضاري شمولي ، في طريقة مواجهة حزب البُعث العربي الاشتراكي لنكساته الخاصة ونكبات الامة العربية في مرحلة السبعينيات .

فقد استطاع البُعث أن يتجاوز محنة الانفصال التي فجرت الوحدة عام ١٩٦١ ، بوصوله الى السلطة في قطرتين عربيتين هما سوريا والعراق عام ١٩٦٣ وبطريقه مشروع تجديد الوحدة مع مصر (مشروع ميثاق ١٧ نيسان) الذي لم ير النور ، لأن الظاهرة العسكرية البروقратية القطرية المتسلطة ، وقفت في طريق تحقيق هذه الوحدة وحالت دونها . وقد جاء العدوان الصهيوني على مصر في حزيران ١٩٦٧ ، مكملاً لسلسلة النكسات التي شهدتها مرحلة السبعينيات . فكانت ثورة ١٧ تموز في العراق بسبابة الجواب النظري والعلوي على تلك النكسات .

ايها السيدات والسادة

ان هذه اللمحات الخاطفة من تطور الحياة السياسية العربية

والفلالية والخاصة بتحرير المرأة ومساواتها . ومكافحة الامية ضمن اطار حملة وطنية شاملة . والتنمية الاقتصادية والتركيز على الاتجاهية ، وعلى الممارسة الديمقراطية ، كلها خطوات وإنجازات منبعثة من تصور ومن سلّم قيم لا يعزل حركة التطور في العراق عن النهضة العربية الشاملة ، وعن تصور لانبعاث الحضاري القومي ، غير منفصل أبداً عن صورة عالم قائم على الحوار بين الحضارات ، تنسج فيه المعادات الجديدة للتقدم ، عالم من الأمم الحرة المستقلة التي تملك مصيرها بيدها ، وتعيش ضمن أنظمة تقدمية مؤمنة بالحرية .

فالوحدة والحرية والاشتراكية ، لم تفهم في البعث كأهداف عربية معزولة عن آفاق تجارب العالم الثالث ، أو حتى عن آفاق التطور الذي تسير نحوه بلدان العالم ، حتى قارة كاوروبا .

فالوحدة ضمن اطار الحرية والاشتراكية حل عربي لحاجات النهضة العربية ، ولكنه ليس حلاً عريباً خالصاً ، لانه يترجم في الوقت نفسه تصوراً حضارياً معبراً عن حاجات مشتركة تتصل بطبيعة العصر ، وبطبيعة المشكلات التي تواجهه .

وعلى ضوء هذا المنظور الحضاري ، نظر البعث الى القوى التي تعمل في خط معاكس ، لتقتفي العالم ، وزرع الانقسامات فيه ، وتغذية الاوضاع المصطنعة ، وتشجيع العداون ، واستغلال

٢٣

وبنظرة حية متطرفة الى نفسه والى القوى الأخرى ، وبقدرة على التعامل مع الحاضر من خلال المستقبل . فالقوى الطبيعية الشابة من عمال وفلاحين وطلاب وجند ونساء ، تشكل مادة أساسية في تكوين بنيان البعث . وهي طاقة ثورية منتجة ومبدعة تشكل الشروءة البشرية في الوطن العربي ، واليها كقوة مستقبلية يتوجه البعث من أجل بناء مستقبل يجسد حقيقة النهضة العربية المعاصرة .

ايها الاصدقاء
ان ما حققته تجربة البعث في العراق في السنوات العشر الماضية من ملامح (نظرية عمل) ، تربط باصالة ودينامية بين الايديولوجية والستراتيجية والتكتيك ، بين الافكار والممارسات ، بين النظرية والعمل ، ضمن المنظور الحضاري الذي أشرنا اليه (منظار النهضة العربية) . ان ذلك كله ، هو الذي جعل انجازات الثورة على صعيد العراق تم ضمن اطار حاجات النهضة العربية ، وضمن اطار الحاجة الى بناء عالم جديد وانسانية جديدة ، يكون للبعث وللامة العربية شرف المساهمة في تكوينها .

فتحقيق الوحدة الوطنية في بلد كالعراق كانت تمزقه الصراعات الداخلية ، والاعتراف بالحقوق القومية والثقافية للاقلية ، وتحقيق الجبهة الوطنية بين الاحزاب والقوى الوطنية التقديمية ، وتأمين النفط ، والتشريعات الاشتراكية العمالية

٢٢

الطبقة العاملة ، والتعدي على حقوق الشعوب والانسان .
وعلى ضوء هذا التصور نظر البعث الى مشكلة اصطدام
النهاية العربية بالصهيونية ومخطلاتها ، وبالتحالف الامبرالي-السي
الصهيوني الرجعي ، الذي يشكل التقيض المعادي لحركة النهاية،
ليس على صعيد الامة العربية حسب ، بل على صعيد شعوب قارات
آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية أيضا .

ان الفهم العميق لطبيعة الصراع العربي - الصهيوني وأبعاده
ونتائجها ، ولمشكلات الطاقة وحقوق الانسان ، وغيرها من
المشكلات التي تقلق عالمنا ، يتطلب فهما طبيعية القوى
والايديولوجيات التي تحرّكها والمصالح التي تستند اليها . فعصرنا
الذى يتوجه نحو حوار بين الحضارات ، يجد نفسه أمام عقبات لابد
من تذليلها ، تزرعها القوى المعادية لحضارة هذا العصر ، عصر
الجماهير والاشتراكية والحرية .

ان الامة العربية تحمل القدر الاعظم من هذا العداء في
نهايتها المعاصرة ، فالمخططات الامبرالية والصهيونية والرجعية
تتجمع وتتألف من أجل العি�لوة دون هذه النهاية . ومن هنا ،
كان موقف الرفض للسياسات التي تخدم مصالح الامبرالية في
المنطقة العربية ، والتي تقدم للصهيونية الفرصة لتهيئة كيانها
العنصري لمرحلة جديدة من التوسع .

٢٤

ان هذا الموقف المستند الى فهم عميق لطبيعة الايديولوجية
الصهيونية ومرتكزاتها الطبقية ، ومنظورها السلبي لتاريخ العالم .
انما يرفض العدوان على النهاية العربية . وقد كان ييدو حتى قبل
المسرحيات الاخيرة للسداد ، موقفا غير واضح وغير مقنع . وكان
ينظر اليه على أنه موقف غير واقعي وجامد . ولكنه ييدو اليوم ،
وسوف يتضح أكثر غدا ، أنه مفهوم ومعقول ومنطقى . لأن الحوار
بين الحضارات يتطلب التخلّي أولا ، عن المفاهيم والاساليب المعادية
لنهايات الشعوب والامم ، التي عانت الاستهانة والاستعمار
والاستغلال ، والتي تشكّل جوهر التجدد الحضاري في عصرنا .

فالرفض للعدوان على النهايات الحضارية الحديثة هو أحد
المداخل الاساسية للحوار الجدي بين الحضارات . ورفض التخلّي
عن حق شعب بأكمله في أرضه وفي تقرير مصيره ، هو تمسك بـألف
باء الحضارة .

فلا امبرالية ولا صهيونية تحولان منطبقتنا العربية ، ومعها
العالم بأسره ، الى غاب يسيطر عليه منطق القوة الغاشمة حيث
تقف التكنولوجيا الحديثة الى جانب قوى التدمير في وجه القوى
الحضارية الناشئة التي تتسلح بالحق وبالجماهير المؤمنة بقضيتها .

ان الامبرالية والصهيونية ، بالرغم من التقدم التكنولوجي ،
يسلان التخلف الايديولوجي ، والمصالح التي تملّها قوانين

(المستهلك الأكبر) الذي يتحكم بمصير العالم ويقف في وجه تفاعله
الحضاري .

فإذا كان النزيف في الطاقة يهدد الجميع في المستقبل . وإذا
كانت زيادة الاتاج تدمر البلدان المنتجة وتخفيض الاتاج يضيق
البلاد المستهلكة حاليا ، فإن الحسابات الضيقة ليست هي طريقة
لحل المشكلات .

إن هذه المسألة وغيرها من العديد من المسائل تحيلنا دوما إلى
النقطة المركزية التي انطلق منها البعث في منظوره الحضاري هي :

إن في عالمنا الراهن يوجد تفاعل حضاري عفويا بين
تجارب العالم الثالث وبين هذه التجارب من جهة والقوى المستنيرة
المتحررة التقدمية في العالم ، التي تدرك أن عالمنا المعاصر يفتش عن
حضارة جديدة .

وان هذا التفاعل ينبغي أن يجري تعهده ، وتقدير أهميته ،
وحاجته إلى التطور باتجاه يزيده وثوقا .

إن فكرة التضامن بين بلدان العالم الثالث من أجل تحرير
اقتصادها واستكمال استقلالها السياسي .. وفكرة التضامن
العربي الأوروبي التي تستند إلى التفاعل الحضاري القديم بين
أوروبا والعرب ، الذي كانت محصلته ايجابية ، بالرغم من المظاهر

الاستغلال والسلط والعنصرية . فهما لا تستطيعان أن تفهمها حتى
شعوبهما . وهما تشكلان عاملاً توريط دائم للشعب الذي تتحدىان
بأسه . لأنهما تضعانه أمام مأزق تاريخي .

ان منظور البعث ، وقوى التحرر العربي بوجه عام ، الى
المسألة الفلسطينية ، منظور حضاري ، يستوعب آلام اليهود في
الماضي على يد الفاشية ، ولكنه يستوعب في الوقت نفسه آلام
العرب في الحاضر على يد الصهيونية .

ان (القومية العربية) كحركة تحرر وابعاث حضاري ،
تطوى على معنى الرسالة التاريخية المرتبطة بالمعنى الإنساني
الش Sovi . لذلك فهي ترفض التبعية بطبيعتها ، وتتظر إلى
مستقبل التعايش بين الديانات والقوميات ، التي تعيش في المنطقة
العربية ، بالثقة التي يؤكدها تاريخ هذه المنطقة في الماضي ، وتعززها
المعاني التحررية والتقدمية للنهاية العربية المعاصرة ، ومنظورها
الحضاري الإنساني .

ومن خلال هذا المنظور نفسه ، فهم حزب البعث العربي
الاشتراكي مسألة الطاقة في العالم ، على أنها ليست مسألة
(مستهلكين متتطورين ، ومنتجين مختلفين) . بل هي مسألة بناء
عالم جديد تكون من خالله المعادلات الجديدة عبر حوار حقيقي
بين الحضارات . أنها مسألة (المتغير الكبير) ، الذي هو نفسه